مقاصد القرآن الكريم عند ابن عثيمين

أ. شذى بنت زياد بن زيد النفيعي*, د. مأمون بن عبد الرحمن الزاكي**

سلم البحث في ١٤٤٧/٧/٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٧/٨/٥هـ

ملخص البحث:

تناول هذا البحث مفهوم المقاصد القرآنية بشكل عام، كما تناول مفهومها عند ابن عثيمين – رحمه الله– بشكل خاص وبين أنواع المقاصد التي تناولها في تفسيره، كما عرض لطريقته وبيان أدلته في المقاصد القرآنية، وأهم الضوابط التي التزمها الشيخ في هذا الباب، مبتدئة ذلك بمقدمة تناولت مشكلة البحث، وأسباب اختياره، وحدوده، مع بيان الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، والمنهج الذي سلكته الباحثة، ثم ختمته بخاتمة تناولت أهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها الباحثة.

كلمات مفتاحية: مقاصد، القرآن الكريم، ابن عثيمين.

Abstract:

The Objectives of the Qur'an According to Ibn 'Uthaymeen

Researcher: Shatha bint Ziyad bin Zaid Al-Nafie'i

Department of Qur'anic Studies and Sciences, College of Sharia, Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia

This study explores the concept of Qur'anic objectives in general and specifically as understood by Ibn 'Uthaymeen – may Allah have mercy on him. It examines the types of objectives he addressed in his tafsīr, outlines his methodology, and presents the evidences he relied upon for identifying Qur'anic objectives, as well as the key principles he followed in this regard. The research begins with an introduction that discusses the research problem, reasons for its selection, and its scope, alongside a review of previous studies and the methodology adopted. The study concludes with a summary of the main findings and recommendations reached by the researcher.

Keywords: Objectives, Qur'an, Ibn 'Uthaymeen

المقدمة:

إنَّ الحمد لله، نَحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا وسيِّئات أعمالِنا، مَن يَهدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وأن محمدًا عبدُه ورسوله، أما بعد؛ فإن أعظم ما يَشْغَل الإنسانُ به وقته، ويَصرف إليه جهدَه؛ هو كتاب الله تعالى، حفظًا وتلاوةً، وتفسيرًا وتعليمًا. ومِن كمال نعمة الله على هذه الأُمَّة أنْ وعدهم بحفظ كتابه وتيسيره، حيث قال: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

---

* باحثة دكتوراه, قسم القرآن الكريم وعلومه, كلية الشريعة, جامعة القصيم, المملكة العربية السعودية.

** أستاذ مشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه, كلية الشريعة, جامعة القصيم, المملكة العربية السعودية.

ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾} [سورة الحجر:٩]، وقال: {وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾} [سورة القمر:١٧]؛ فانصرف الناسُ إليه وانكبُّوا عليه، وعكفوا على قراءته ومُدارسته، وقد هيَّأ الله له من الأُمة مَن يحفظه ويَعِي مَعانيَه، ويُعلِّمه الناسَ على مَرِّ العصور ومختَلَف الأزمنة والأمكنة.

ومن هؤلاء فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين فقد بَرَع وتميز في التفسير، كما برع وتميز في غيره من العلوم، وغاص في دقائق مسائله، واستنبط من خفاياه وأسراره ما فتح الله به عليه، واستَلْهم منه المغزى والمراد، وخرج بفوائدَ نفيسة.

وقد تناول المفسرون في تفاسيرهم المقاصدَ القرآنية على وجه الخصوص؛ لما لها –أيضًا– من تأثيرٍ في فَهم كتاب الله تعالى، وتقعيد أحكامه. وكان لابن عثيمين عناية واضحة بهذا الباب؛ وسيُسْهِم هذا البحث الذي هو أحد متطلبات درجة الدكتوراه بجامعة القصيم، في خدمة كتاب الله تعالى أوَّلًا، ثم تفسير ابن عثيمين ثانيًا، بما يُثري مكتبتنا العلمية، ويَخدُم طلبة العلم والباحثين، وقد بذلت جهدي فيه، وحرصت على اتباع ما هو معلوم في التوثيق والتحقيق، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

أسأل الله –تعالى– العونَ، والتوفيق والسداد، وأن يجعل هذا البحث نافعًا ذا أثر قيم.

- **أهمية البحث وأسباب اختياره:**

١–أهمية علم المقاصد القرآنية؛ إذ هو وسيلة للفَهم الصحيح لكتاب الله تعالى، ومُعين على معرفة مراد الله تعالى، والسلامة من الخطأ.

٢– أن المقاصد القرآنية وسيلة للتدبر الذي أمرنا الله تعالى به، وثمرته؛ قال جلَّ وعلا: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾} [سورة محمد:٢٤]؛ "فالتدبر إنما يكون لمن الْتَفت إلى المقاصد". [الموافقات: ٤/٢٠٩].

٣–عناية ابن عثيمين بالمقاصد القرآنية في تفسيره وأهميتها.

٤–رغبتي في خدمة تفسير ابن عثيمين وإبراز عنايته بمقاصد القرآن، واستنباطاته الدقيقة فيه.

٥–خلو مكتبة التفسير من دراسة مفردة في المقاصد القرآنية عند ابن عثيمين.

الدراسات السابقة:

لقي موضوع (مقاصد القرآن الكريم) اهتمامًا ملحوظًا من الباحثين في العصر الحديث؛ لما له من أثَر في الفَهم الصحيح لكتاب الله، ومعرفة مرادِه –سبحانه وتعالى.

وقد حَظِي تفسير ابن عثيمين بعناية خاصة؛ إذ تناولَتْه الدراسات من أبواب متنوعة. وعليه فستكون الدراسات السابقة على أقسام:

أ- **الدراسات التي تناولت مقاصد القرآن بصورة عامة، ومنها:**

١- **كتاب مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**، أصله رسالة دكتوراه، للدكتور عبد الكريم حامدي؛ أستاذ الفقه المقارن والتفسير بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية- جامعة باتنة بالجزائر.

٢- **القرآنية: دراسة منهجية**، المؤلف: د. محمد بن عبد الله الربيعة (بحث محكم منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي)، ع٢٧، مج١٤، ص٢٠٨- ٢٦٢، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٣- **مقاصد القرآن الكريم ومحاوره عند المتقدمين والمتأخرين**، للدكتور عيسى بوعكاز، كلية العلوم الإسلامية- جامعة باتنة، الجزائر، بحث محكم منشور بمجلة الإحياء، العدد (٢٠)، ص٨١- ١٠٦، ٢٠١٧م.

ب- **الدراسات التي تناولت مقاصد القرآن الكريم عند عالم من العلماء أو المفسرين، ومنها:**

١- **مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور**، للدكتورة هيا ثامر مفتاح؛ رئيس قسم أصول الدين بجامعة قطر، بحث محكَّم وقد نُشر في مجلة (كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر)، العدد (٢٩)، ص١٩-٧٢، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٢- **مقاصد القرآن في فكر بديع الزمان النورسي- دراسة تحليلية**، للدكتور زياد خليل محمد الدغامين؛ عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية- جامعة آل البيت- الأردن، بحث محكَّم وقد نُشر في مجلة (كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر)، العدد (٢١)، ص٣٤٩- ٣٩٨، ٢٠٠٣م.

ج- **الدراسات التي تناولت مقاصد القرآن الكريم من تفسير واحد من تفاسير القرآن، ومنها:**

١- **مقاصد القرآن في تفسير "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" للفيروزابادي، سورة المائدة- دراسة تطبيقية**، للدكتور محمد بن مصطفى بن علي منصور، بقسم الدراسات القرآنية- جامعة طيبة، بحث محكَّم، نشر في مجلة (كلية دار العلوم- جامعة القاهرة)، العدد (١٣٢)، ص٢٧٩- ٣١٩، ٢٠٢٠م.

د- **الدراسات التي تناولت موضوع المقاصد عند ابن عثيمين، ومنها:**

١- **مقاصد الشريعة عند الشيخ ابن عثيمين: جمعًا ودراسةً**، للباحثة أسماء بنت أحمد بن

صالح الغضية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم، ٢٠١٤م. والفرق بين هذه الدراسة ودراستي واضح؛ إذ بينهما عموم وخصوص:

أمَّا دراستي؛ فتناولت المقاصد القرآنية من جانب تفسيري، يشمل مقاصد عقَدية، ومقاصد تشريعية، ومقاصد أخلاقية، ومقاصد القصص القرآني، ومقاصد إعجاز القرآن الكريم.

وهذه الدراسة تناولت المقاصد الشرعية من منظور فقهي على وجه الخصوص، كما أنها تناولت دراسة المقاصد من خلال كتب ابن عثيمين، وأمَّا هذه الدراسة فمختصة بدراسة مقاصد القرآن من خلال كتبه التفسيرية.

٢- **منهج الشيخ ابن عثيمين في الاستنباط من القرآن الكريم**، لأحمد بن سليمان بن صالح الخضير، جامعة عين شمس- كلية التربية، (بحث محكم قصير) مجلة كلية التربية- القسم الأدبي، مج١٥، ع٢، ص٢٥٢-٣٠٨، ٢٠٠٩م. ولا شكَّ أن موضوع دراستي مختلف عن هذه الدراسة؛ فدراستي تتناول أغراض ومقاصد القرآن الكريم عند ابن عثيمين، بينما هذه الدراسة عُنيت بدراسة استنباطات ابن عثيمين بشكل عام.

٣- **منهج الشيخ ابن عثيمين في بيان الهدايات القرآنية من خلال سورة الأنعام**، لأحمد بن مرجي صالح الفالح، بحث محكَّم نُشر بمجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، السعودية، مج٥٢، ع١٨٦، ص١٤٧-١٩٠، ٢٠١٨م. وبعد النظر في هذه الدراسة تبيَّن اختلاف موضوعها عن دراستي؛ فهي تركز على الهدايات والفوائد عامة في سورة الأنعام، ولا تنطلق من فكرة دراسة المقاصد، أما دراستي فخُصَّت بدراسة المقاصد القرآنية عند ابن عثيمين من كتبه التفسيرية.

هـ- الدراسات التي تناولت تفسير ابن عثيمين ومنها:

١- **المضامين الدعوية في تفسير الشيخ ابن عثيمين ومعالجته لقضايا الدعوة المعاصرة**، لعبد الله بن حمود بن صالح الفريح، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠١٦م.

٢- **معالم عناية الشيخ ابن عثيمين بقضايا الأوبئة**، لمحمد الغلبان، بحث محكم من إصدارات كرسي ابن عثيمين، نُشر بمجلة جامعة ذمار- كلية الآداب، ع ٢١، ص٥١٠- ٥٧٥، ديسمبر ٢٠٢١م.

٣- **منهج الشيخ ابن عثيمين في توظيف التفسير لعلاج المشكلات المعاصرة: عرضًا ودراسة**، لحسن بن علي بن منيع الشهراني، بحث محكم نشر بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد، مج١، ٣٦٩-٤٠٩، ٢٠١٦م. ويظهر الفرق بين الدراسات الثلاثة السابقة وبين دراستي في:

أن دراستي ستتناول بيان مقاصد القرآن ومغزاه والحِكمة منه من خلال تفسير ابن عثيمين، أمَّا هذه الدراسات؛ فقد تناولت موضوعات مختلفة عن موضوع المقاصد؛ كموضوع الدعوة، والأوبئة، وعلاج المشكلات المعاصرة، من خلال تفسير ابن عثيمين.

أهداف البحث:

١- التعريف بالمقاصد القرآنية.

٢- بيان منهج ابن عثيمين في إظهار مقاصد القرآن الكريم في كتبه التفسيرية.

٣- بيان مصادر ابن عثيمين في المقاصد القرآنية، وتوضيح القيمة العلمية لها من خلال تفسيره.

حدود البحث:

بُنِيَت الدراسة على المقاصد القرآنية التي ذكرها ابن عثيمين، سواء كان الذكر صريحًا أو غير صريح، من خلال كتبه التفسيرية التالية:

- ما جمعته وأصدرته مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية من كتبه التفسيرية تحت مسمى (تفسير القرآن الكريم).
- كتاب الإلمام ببعض آيات الأحكام تفسيرًا واستنباطًا.
- كتاب أحكام من القرآن الكريم.

تساؤلات البحث:

١-ما المقاصد القرآنية عند ابن عثيمين، وما أنواعها؟

٢-ما مصادر ابن عثيمين في مقاصد القرآن؟

٣-ما الضوابط التي التزمها ابن عثيمين في المقاصد القرآنية عنده.

منهج البحث:

اتبع البحثُ المنهج الاستقرائي التحليلي؛ وذلك من خلال إجراءاته التالية:

١-كتابة الآيات بالرسم العثماني، وعزوها إلى سُوَرها وأرقامها، وتوثيق القراءات من مصادرها.

٢-تخريج الأحاديث من مصادرها، مع بيان حكمه، وتخريج الآثار وعزوها إلى أصحابها.

٣-توثيق النقول الواردة في الدراسة إلى مصادرها الأصيلة.

٤- وضع ثبَت المراجع.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين.

المقدمة: وفيها مشكلة البحث، وأهميته وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه التعريف بعلم المقاصد القرآنية.
المبحث الأول: أنواع مقاصد القرآن عند ابن عثيمين. وفيه ستة مطالب:
المطلب الأول: مقاصد القرآن الكريم في الاعتقاد عند ابن عثيمين.
المطلب الثاني: مقاصد القرآن الكريم في التشريع عند ابن عثيمين.
المطلب الثالث: مقاصد القرآن الكريم في التربية عند ابن عثيمين.
المطلب الرابع: مقاصد القرآن الكريم في القصص القرآني عند ابن عثيمين.
المطلب الخامس: مقاصد القرآن في إعجاز القرآن الكريم عند ابن عثيمين.
المطلب السادس: مقاصد القرآن الكريم في الأمثال عند ابن عثيمين.
المبحث الثاني: منهج ابن عثيمين في عرض مقاصد القرآن، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: أدلة ابن عثيمين في بيان المقاصد القرآنية.
المطلب الثاني: ضوابط ابن عثيمين في المقاصد القرآنية. **ثم** فهرس المصادر والمراجع.

وفي ختام هذه المقدمة، فإني أشكر الله تعالى على توفيقه وتيسيره وإعانته على إتمام هذا العمل، فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد: معنى مقاصد القرآن:

المقاصد لغة: جمع المقصد، وهو مصدر ميميٌّ مشتقٌّ من الفعل "قصد"، فالقاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأَمِّهِ، والآخر على اكتناز في الشيء، فالأصل: قصدته قصدًا ومقصدًا، ومن الباب: أقصده السهم، إذا أصابه فقتل مكانه، وكأنه قيل ذلك؛ لأنه لم يحد عنه، والأصل الآخر: قصدت الشيء كسرته، والقصدة: القطعة من الشيء إذا تكسر، والجمع قصد"[1]. وعلى هذا "فأصل [ق ص د] في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهودُ والنهوضُ نحو الشيء"[2]، وهو ما ينصرف الذهن إليه عند إطلاقه. قال الأزهري[3]: "القصد: استقامة الطريقة، قصد يقصد قصدًا فهو قاصد"[4]. وجاءت في القرآن بمعنى الاعتدال والاقتصاد، والاقتصاد على ضربين، **أحدهما:** محمود على الإطلاق، وذلك فيما له طرفان: إفراط وتفريط

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (قصد). [ج:٥/ص:٩٥].
(2) ابن منظور، لسان العرب [ج:٣/ص:٣٥٥].
(3) **أبو منصور**، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهر أبو منصور الأزهريّ الشافعيّ، ولد بـ(هراة) سنة(٢٨٢هـ) كان فقيها شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها، وكان متفقا على فضله وثقته ودرايته وورعه، توفي بهراة سنة (٣٧٠هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان [٤/ ٣٣٤]، طبقات المفسرين للداوودي [٢/٦٥-٦٧].
(4) الأزهري، تهذيب اللغة [ج:٨/ص:٢٧٤].

كالجود، فإنه بين الإسراف والبخل، وكالشجاعة فإنها بين التهور والجبن، ونحو ذلك، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧].

والثاني: ما يكنى به عما يتردد بين المحمود والمذموم، وهو ما يقع بينهما، كالواقع بين العدل والجور، والقريب والبعيد، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر: ٣٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَسَفَرٗا قَاصِدٗا﴾ [التوبة: ٤٢].

ثانيًا: تعريف المقاصد اصطلاحًا:

عرَّف العز بن عبد السلام[١] المقاصد بأنها: "الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها"[٢]، وهذا التعريف وغيره من تعريفات المتقدمين [٣] يدور حول أفعال المكلف وما يترتب عليها من جلب المصالح أو دفع المفاسد، ولم يذكر العلماءُ المتقدمون تعريفًا منضبطًا خاصًّا بالمقاصد القرآنية [٤]، وإنما كانت تدور في إطار مصطلحات قريبة، كالحكمة، والعلة، والمصلحة، ولعل "وضوح معانيها عند علمائها ومن حولهم من أهل العلم"[٥] كان سببًا في عدم ضبطها تعريفًا اصطلاحيًّا دقيقًا.

ومن تعاريف العلماء المعاصرين ما ذكره ابن عاشور[٦] بقوله: "أما علم مقاصد الشريعة فهو عبارة عن الوقوف على المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع

---

(١) **عبد العزيز بن عبد السلام** بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد سنة (٥٧٧هـ) بدمشق ونشأ بها، توفي بالقاهرة سنة (٦٦٠هـ). انظر: طبقات المفسرين للداوودي [٣١٥/١]، الأعلام للزركلي [٢١/٤].

(٢) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام [ج:١/ص:٧].

(٣) انظر: البرهان في أصول القرآن لعبد الملك الجويني، المستصفى من علم الأصول للغزالي، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، الموافقات في أصول الفقه للشاطبي، مجموع الفتاوى لابن تيمية [ج:٣/ص:١٩].

(٤) د. علي محمد أسعد، التفسير المقاصدي للقرآن [ص:٤٤].

(٥) د. يوسف أحمد محمد بدوي، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية [ص:٤٥].

(٦) **ابن عاشور**: هو محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، عالم وفقيه ومفسر تونسي ولد في ضاحية المرسى سنة: ١٢٩٦هـ، كان مهيبًا ذا براعة وبيان، له دور بارز في الإصلاح العلمي والاجتماعي، توفي سنة: ١٣٩٣هـ. انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، تحقيق: ابن الخوجة [٣١/١]، ترجمة ابن عاشور بقلم ابن حميدة في مقدمة التحرير والتنوير- المكتبة الشاملة-، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا للطرهوني [٣٤٧/١]، معجم المفسرين لعادل نويهض [٥٤١/٢].

أحوال التشريع أو معظمها، وتدخل في ذلك أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها. وكذلك ما يكون من معان من الحكم، لم تكن ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"[١].

وعرَّفها علال الفاسي[٢] بقوله: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[٣].

كما عرَّفها الريسوني[٤] بقوله: "هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد"[٥]. وجملة هذه التعريفات للمقاصد مرتبطةٌ بمقاصد الشريعة من الناحية الفقهية والأصولية، وبما أنّ هذا البحث مختصٌّ بدراسة مقاصد القرآن الكريم، فإنّ تعريفها من الناحية القرآنية التفسيرية أشمل وأعمّ، والمتتبِّعُ لكتابات العلماء المتأخرين في هذا الباب يلحظ أنهم انقسموا إلى طائفتين **الأولى:** من عرَّف علم مقاصد القرآن الكريم بتعريف علم مقاصد الشريعة الإسلامية [٦].

الثانية: من فرّق بينهما، واعتبر أن بينهما أوجه اختلاف وأوجه اتفاق [٧].

---

[١] ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية [ج:٢/ص:٢١].

[٢] **علال الفاسي:** محمد علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري: من كبار الخطباء العلماء في المغرب. ولد بفاس سنة: (١٣٢٦هـ)، وتعلم بالقرويين، صدرت له كتب مطبوعة منها: هنا القاهرة، والنقد الذاتي والمغرب العربيّ منذ الحرب العالمية الأولى ودفاع عن الشريعة ومقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. توفي سنة: (١٣٩٤هـ). انظر: الأعلام للزركلي [٤/٢٤٦- ٢٤٧].

[٣] علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها [ص:٧].

[٤] **الريسوني:** أحمد بن عبد السلام بن محمد الريسوني، ولد بقرية أولاد سلطان بإقليم العرائش، بشمال المملكة المغربية سنة (١٩٥٣م)، من مؤلفاته: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (ترجم إلى الفارسية، والأردية، والإنجليزية، والبوسنية)، ونظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية، وكتاب من أعلام الفكر المقاصدي، ومدخل إلى مقاصد الشريعة، والفكر المقاصدي قواعده وفوائده. انظر: الريسوني، أحمد، " السيرة الذاتية" الموقع الرسمي للدكتور أحمد الريسوني، بدون تاريخ، تم الاطلاع بتاريخ ٢٦/ يناير/٢٠٢٦م.

[٥] د. أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي [١٩].

[٦] ذكرت في الصفحة السابقة.

[٧] انظر: د. علي محمد أسعد، التفسير المقاصدي للقرآن الكريم- بحث منشور في إسلامية المعرفة الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي- مكتب الأردن (المجلد:٢٣- العدد:٨٩-٢٠١٧م) [ص:٤٤-٤٧]، وراجع له أيضًا: مقاصد قرآنية يناط بها التمكين الأسري – بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- (المجلد:٢٦- العدد:٢- ٢٠١٠م) [ص:٤٦٢-٤٦٣]، ويوسف أحمد محمد بدوي في مقاصد الشريعة عند ابن تيمية [ص:٤٥-٥٦].

ثالثًا: تعريف القرآن في اللغة [١]:

اختلف العلماء في لفظ القرآن: هل هو اسم جامد أم اسم مشتق؟ على قولين:

الأول: أنّه اسم جامد غير مهموز، ولم يؤخذ مِن قرأ، بل هو اسمٌ لكتاب الله، كالتوراة والإنجيل، فيُهمز، قرأت، ولا يهمز القرآن، كما تقول: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الإسراء: ٤٥].

الثاني: اسم مشتق، ثم اختلفوا في اشتقاقه على قولين،

الأول: أنّ النون أصلية، فيكون مشتقًا من مادة (ق ر ن) بمعنى الضم والجمع، ومنه سُمِّي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قِرانًا، وقبل مشتقٌّ من القرائن؛ لأن آيات القرآن يصدق بعضها بعضًا ويشابه بعضها بعضًا.

الثاني: أنّ الهمزة أصليةٌ، وهو مشتق من مادة (ق ر أ) بمعنى التلاوة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧-١٨]، وقيل: هو مشتق من القُرء بمعنى الجمع؛ "وسمي القرآن لأنه جمع القصص، والأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والآيات، والسور بعضها إلى بعض"[٢].

رابعًا: تعريف القرآن اصطلاحًا:[٣]

تعدَّدت تعريفات العلماء للقرآن الكريم؛ وذلك لتعدد خصائصه وصفاته، ولا تعارض بينها؛ إذ كلُّ تعريف يبرز جانبًا من جوانبه، فمَن قال هو كلام الله المعجز فصحيح، ومَن قال هو كلام الله المفتتح بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس فصحيح، والقائل بأنه كلام الله نزل بلغة العرب المكتوب في المصاحف فصحيح، فالقدر المتفق عليه أن القرآن هو:" كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبَّد بتلاوته".

خامسًا: معنى مصطلح مقاصد القرآن:

أما تعريفه مركبًا باعتباره مصطلحًا وعلمًا مستقلاً، فمقاصد القرآن هي: "الغايات التي جاء بها القرآن الكريم والمضامين والقيم والعبر والأسس التي تضمَّنها،

---

[١] انظر: ابن منظور، لسان العرب [ج:١/ص:١٢٩]، انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة – مادة قري- [ج:٥/ص:٧٨]، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن [ص:٦٦٨]، الزركشي، البرهان في علوم القرآن [ج:١/ص:٢٧٨]، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن [ج:١/ص:٨٧].

[٢] ابن منظور، لسان العرب [ج:١/ص:١٢٩]، انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة – مادة قري- [ج:٥/ص:٧٨]، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن [ص:٦٦٨].

[٣] انظر: أ.د فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم [ص:٢٤-٢٥].

سواءً كانت منصوصة أو مستنبطة من خطابه أو من مجموع معانيه وحِكمه وعِلله، مع بيان بنائها التكاملي"[١].

وهذا التعريف شاملٌ للمقاصد العامة والخاصة، وما جاء به القرآنُ صراحةً، وما يُتوصّل إليه بالاستنباط والتَّدبُّر.

سادسًا: مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عثيمين:

من خلال تتبع كلام ابن عثيمين -رحمه الله- في تفسيره، لم أجد تعريفًا واضحًا ومحددًا لمصطلح المقاصد، ونظرًا لكونه عالمًا بالفقه وأُصوله، فقد جرى في تعبيره عنها على طريقة المتقدمين؛ فتارة يشير إليها بالحكمة، وتارة بالعلة، وتارة بالمغزى أو السر أو الموضوع ونحو ذلك. ومن ذلك قوله:

١- "الحكمة وهي معرفة أسرار الشريعة وغاياتها وثمرتها"[٢].

٢- "الحكمة تكون على هذه الوجوه الأربعة: حكمة في المخلوق، وحكمة في المشروع نفسه، وحكمة في الغاية من المخلوق، وحكمة في الغاية من المشروع"(٣).

٣- "الحكمة نوعان: حكمة صورية؛ وهي أن يكون الشيء على هذه الصورة المعينة، وحكمة غائيّة؛ وهي أن يكون هذا الشيء لغاية محمودة"(٤).

٤- "فإن قيل: وما الحكمة؟ قلنا: بيَّنَها -سبحانه وتعالى- في قوله: ﴿لَعَلَّهُم يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢] "وإلا فإن الله لا يمكن أن يريد مجرد الإضرار، بل كلّ ما ضر الناس من تقديرات الله، فالمراد به مصلحة الخلق"[٥].

٥- "فالعبادات المقصود بها: إصلاح الخلق، وهي موضوعَة على وفق الحكمة"[٦].

٦- "فكلُّ أحكام الله الكونية والشرعية كلها معللة، كلها لحكمة، لكن هذه الحكمة قد تكون معلومة لنا، والناس يختلفون في هذا اختلافًا عظيمًا متباينًا، منهم من يطلعه الله عز وجل على أسرار خلقه وأسرار شرعه، ومنهم من لا يطلعه، ومنهم بين ذلك"[٧].

---

[١] انظر: د. علي محمد أسعد، مقاصد قرآنية يناط بها التمكين الأسري – بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- (المجلد:٢٦- العدد:٢- ٢٠١٠م) [ص:٤٦٣].

[٢] ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم – سورة المائدة- [ج:٢/ص:٥١١].

[٣] المرجع السابق- سورة المائدة- [ج:٢/ص:٥٦٠]، كما عرض بعدها إنكار الأشاعرة والجهمية للحكمة ورد عليهم.

[٤] المرجع السابق- سورة الأنعام- [ص:١٠١].

[٥] المرجع السابق- سورة الأنعام- [ص:٢٤١].

[٦] المرجع السابق- سورة الزمر-[ص:١٧].

[٧] ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم- سورة غافر- [ص: ٤٦٨].

٧- "أحكام الله عز وجل معللة بعلل مناسبة للحكم، وهذا من مقتضى حكمته، ألَّا تجد حكمًا إلا وله حكمة"[١].

وخلاصة هذه النقول أن الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- كان معنيًّا باستنباط المقاصد القرآنية، ويرى أنها من مقتضيات حكمة الله سبحانه وتعالى وغايات تشريعه.

المبحث الأول: أنواع المقاصد عند ابن عثيمين في تفسيره

القرآن الكريم هو كتاب هداية للأمة، وضبط لسلوكها، وتقويمٌ لمنهجها وحياتها، فعكف العلماء منذ نزوله على خدمته وإبراز تشريعاته وأسراره ومقاصده العظمى، فاهتم في دراسة مقاصده ثلة من العلماء ومنهم ابن عثيمين أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم، فقد كان يركز على المعاني والغايات العامة التي يوجه إليها القرآن الكريم، وقد ذكر عند تفسيره لسورة الفاتحة اشتمالها على مقاصد القرآن، فقال:" سورة الفاتحة هي أم القرآن؛ وذلك لأن جميع مقاصد القرآن موجودة فيها، فهي مشتملة على التوحيد بأنواعه الثلاثة، وعلى الرسالة، وعلى اليوم الآخر، وعلى طرق الرسل ومخالفيهم، وجميع ما يتعلق بأصول الشرائع"[٢]

ومن خلال هذا يتضح أنواع المقاصد القرآنية عنده، وهي مقاصد القرآن الكريم في الاعتقاد، ومقاصده في التشريع، مقاصده في التربية، ومقاصده في القصص القرآني، ومقاصده في إعجاز القرآن الكريم، ومقاصده في الأمثال. وقد تناولتُ في هذه الدراسة هذه الأنواع من الناحية النظرية والتطبيقية؛ باستقراء تفسير ابن عثيمين واستنباط تلك المقاصد من خلاله، وسأتناول في هذا الفصل هذه المقاصد بدراسة نظرية وهي كالتالي:

المطلب الأول: مقاصد القرآن الكريم في الاعتقاد عند ابن عثيمين

العقيدة الصحيحة قيمة عُليا يضبط بها الفرد عمله وسلوكه ويقيم بها مصالحه، وقد عدَّها القرآن الكريم مقصدًا أساسًا ترجع إليه جميع مصالح العبد؛ فقد ذكر ابن عاشور في مقدمة تفسيره ثماني مقاصد أساسية للقرآن الكريم وجعل العقيدة الصحيحة أولها"، قال: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما"[٣]. كما أولى ابن عثيمين باب العقيدة

---

[١] المرجع السابق- سورة الزخرف- [ص:٥٢].
[٢] ابن عثيمين، الشرح الممتع [ج:٣/ص:٦١].
[٣] التحرير والتنوير – المقدمة الرابعة- [١/٤٠].

عناية كبيرة، وقد درستُ في –باب العقيدة– (واحدًا وثلاثين مثالًا)، قسمتها في ثلاثة مباحث هي:

– مقاصد القرآن الكريم في التوحيد، وفي الهداية الدنيوية والأخروية، وفي الإيمان بالغيبيات.

وتتبعت كلام ابن عثيمين من خلال تفسيره في هذه المباحث، واستبطنتُ أبرز المقاصد القرآنية التي نصَّ على معناها ابن عثيمين أو أشار إليها، وهي كالتالي:

مقاصد القرآن الكريم في التوحيد عند ابن عثيمين هي:

١. تحقيق العبودية لله وحده وبطلان عبادة ما سواه.
٢. تربية العباد من خلال الإيمان بكمال الله تعالى وصفاته، وتنزيهه عن كل نقص أو عيب.
٣. التحذير من الشرك وبيان مخاطره.
٤. تحقيق حرية الإنسان من عبودية غير الله تعالى.
٥. تصحيح التصورات العقائدية للآلهة.
٦. تحقيق التوكل الحقيقي على الله.
٧. إقامة العدل والمساواة.
٨. تحقيق التوازن في حياة المكلفين.
٩. تحقيق الطمأنينة والأمن النفسي.

أما مقاصد القرآن الكريم في الهداية الدنيوية والأخروية عند ابن عثيمين فهي:

١. إصلاح العقيدة وتصحيح التصورات.
٢. التحذير من الضلال والغواية.
٣. الحث على اتباع الهدى وبيان قيمة الهداية.
٤. استثمار أعمال الدنيا للآخرة.
٥. تحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة.
٦. توجيه الإنسان للعلم والتفكر في الكون.
٧. بناء مجتمع متراحم ومتماسك.
٨. الهداية للسعادة والطمأنينة النفسية.

أما مقاصد القرآن الكريم في الإيمان بالغيبيات عند ابن عثيمين فهي:

١. تقوية الإيمان بالله تعالى والثقة به.
٢. اختبار الإيمان واليقين.
٣. تحقيق التوازن بين الغيب والشهادة.
٤. إعطاء معنى أعمق للعبادات بالتأكيد على دقة الحساب.

٥. تحقيق التواضع أمام قدرة الله تعالى.
٦. تعميق الأمل والطمأنينة.
٧. ترسيخ قيم الأمانة والاستقامة.

وأظهرت دراسة الأمثلة في باب العقيدة تكامل منهج ابن عثيمين في عرضه لمسائل العقيدة بأسلوب واضح سهل، ركز فيه على بيان المعاني، كمعنى التوحيد، ومعنى الهداية، ومعنى الإيمان بالغيب.

وكان من سمات منهج ابن عثيمين في العقيدة:

– يربط بين العقيدة الصحيحة والعمل الصالح، فلا يكفي مجرد العقيدة، ولا مجرد العمل بلا عقيدة؛ حيث قال: " إن الله اشترط مع الإيمان العمل الصالح، وبهذا نعرف أنه لا ينبغي لنا أن نركز دائما على العقيدة، ونقول: نحن على العقيدة الإسلامية ولا نذكر العمل؛ لأن مجرد العقيدة لا يكفي، فلابد من عمل، فينبغي عندما تذكر أننا على العقيدة الإسلامية ينبغي أن تقول ونعمل العمل الصالح؛ لأن الله يقرن دائما بين الإيمان المتضمن للعقيدة وبين العمل الصالح، حتى لا يخلو الإنسان من عمل صالح، أما مجرد العقيدة فلا ينفع"[١]

– التزم بالمنهج السلفي في أبواب العقيدة كباب الإيمان بالغيبيات، حيث بيَّن أنه التسليم المطلق والإيمان بما أخبر الله به من دون تمثيل أو تكييف أو تعطيل. وبيان معانيها بما يتوافق مع اللغة العربية؛ حيث قال:" الإيمان بالغيب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣]، أي يقرون بما غاب عنهم مما أخبر الله به عن نفسه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وغير ذلك مما أخبر الله به من أمور الغيب"[٢]، وفي هذا مثال على منهج ابن عثيمين في بيان معنى الغيب والإيمان به. كما اهتم ابن عثيمين بالرد على أصحاب الفرق الضالة كالجبرية والقدرية وبيان ضلالهم، مع توضيح لمنهج أهل السنة والجماعة وبيان العقيدة الصحيحة، عند تفسيره لآيات الأسماء والصفات والإيمان بالغيب؛ ومن ذلك قوله في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ [الإخلاص:٣]:" رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم: المشركون، واليهود، والنصارى، لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، وقالوا: إن الملائكة بنات الله. واليهود قالوا: عزير ابن الله. والنصارى قالوا: المسيح ابن الله. فكذبهم الله بقوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ لأنه عز وجل

[١] تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين – جزء عم [١٥٩].
[٢] تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين – سورة البقرة [٣٠/١].